٢ – شاعرية أبي فراس[1]

أثر الضابط العراقي نعمان ماهر الكنعاني

٢ — ومؤلف « شاعرية أبي فراس » الأديب نعمان ماهر الكنعاني الرئيس في الجيش العراق . ويسرنا أن يقبل على البحث والتأليف ضباطنا العرب كما يفعل الضباط في البلاد الغربية ، ولا يقتصروا على دراسة عملهم الذي اختصوا به فإن مشاركتهم في المعرفة بحثاً وتأليفاً أمر ضروري لهم أولا ومفيد لغيرهم ثنياً . فإن المشاركة تفتق أذهانهم ، وتخصب حياتهم وتبصرهم حتى بعملهم العسكري ، وتجنبهم الجفاف العقلي والنفسي وتملأ فراغهم بما يعود عليهم وعلى غيرهم بالخير . هم في حاجة المعرفة ولا سيما الأدبية التي هي قسط مشترك ، لأنهم « ناس » أولاً « وجنود » ثانياً ، ولا غنى للانسان إنساناً وجندياً في هذا العصر المعقد المستنير من المعرفة ولا سيما الأدبية لأن الأدب هو التعبير عن الحياة ، ولهذا نرحب بهذه الرسالة من ضابطنا الأديب ونتمنى له ولأمثاله مزيداً من البحث والتأليف .

تتضمن الرسالة إهـــداء ومقدمة وبحثاً في « شاعرية أبي فراس » ومختارات من شعره .

فأما الإهداء فللجيش العراق ، ولا عجب فالموضوع شاعرية « جندي » قضى عمره القصير في خوض الحروب والأسر بسببها وأما المقدمة فكاتبها الدكتور المحقق المعروف مصطفى جواد ، وهي « كلمة في أدب القرن الرابع » وربما كانت هي ذاتها مفيدة ولكن لا موضع لها في الرسالة ، وقد كان حرياً بالدكتور جواد أن يجعل سبباً بينها وبين موضوع الرسالة أو مؤلفها كأن يستبدل بهذا الحشو المضطرب الزائد بياناً لمنزلة أبي فراس بين أدباء عصره أو شعرائه خاصة ، أو يلقي ضوءاً على حوادث عصره المتصلة به — ولا سيما أن الرسالة خالية من ذلك — تستبين فيه منزلة الشاعر أو بيئته التي نشأ فيها ، أو كأن يعرف القراء بالمؤلف أو يجلي منهجه في كتابه أو ما إلى ذلك . بل لو اقتصر الدكتور — وهو الباحث اللغوي النحوي الذي طالما سوّد الصفحات في الكتب والصحف والمجلات عرضاً يتتبع المؤلفين بالتزييف — على تصحيح أخطاء الرسالة لكان فيه بلاغ .

وأما البحث فهو — فيما نعلم — أول بحث مستقل في موضوعه ، وهو خال من الحشو والفضول ، وإنه ليدل على فهم « جندي » مستقيم مستقل يتأدى إلى غرضه بحزم وثقة دون أن يعتوره تردد ولا التواء .

والبحث مقسوم عشرة أقسام أولها في أسلوب أبي فراس ، وثانيها في معانيه المبتكرة ، وثالثها في موضوعات شعره إجمالاً والموازنة بينها من حيث إجادته وكثرة قصائده فيها وهو يرتبها هكذا تنازلاً : الفخر فالغزل فالمدح فالوصف فالرثاء فالحكمة . ويذكر أن هجاءه كان نادراً ويبين أسباب ذلك كله ، ورابعها في فخره ، وخامسها في مديحه ، وسادسها في وصفه الطبيعة والمعارك ، وسابعها في غزله ، وثامنها في رثائه ، وتاسعها في حكمه وأمثاله ، وعاشرها في أسره ورومياته التي قالها في أسره شاكياً أو مستعطفاً أو عاتباً أو ثائراً ، وفي خلال ذلك أحكام لا نوافق على كثير منها وإن كنا نقر بعضها ونطمئن إليه .

وأما المختارات فقد أحسن اختيارها شواهد على أقسام البحث : أولها قصة طويلة من « رومياته » متممة للقسم العاشر وتليها ستة « متفرقات » قصيرة شواهد على الأغراض الأخرى

والبحث « مدرسي » في منهجه ودراسته ، ومن أجل ذلك جاء « خفيفاً » سهلا بسيطاً . وإذا كان لم يعطنا « صورة » ولا « ترجمة » حيّة نابضة لشخصية أبي فراس من خلال دراسة شاعريته في شعره وهو « ديوان شخصيته » فقد رسم أمامنا خطوطاً بارزة من هذه « الصورة » ، وعين لنا معالم واضحة من هذه « الترجمة » وكشف لنا كثيراً من المواطف والآمال التي كانت تصطرع وتثور في قلب هذا « الجندي » الطموح ، وفي هذا بلاغ أي بلاغ من ضابطنا الأديب .

ولعله معيد النظر بعد في رسالته في ضوء «ديوان أبي فراس» في طبعته الجديدة التي أخرجها منذ أسابيع الدكتور محمد سامي الدهان ، فإنها أوفى بمطلوبه لزيادة نصوصها ، وصحة ضبطها ، وفهارسها المفصلة ، وخلوها من عيوب الطبعة القديمة التي شكاها ضابطنا الأديب في مطلع بحثه ، وإنا لآثار قلمه الناضج إن شاء الله منتظرون .

القاهرة — محمد خليفة التونسي

(١) طبعة خاصة بمطبعة الكاتب في بغداد سنة ١٩٤٧ ، ثمانون صفحة من القطع المتوسط